الزكاة وأحكام الوجوب المطلق

فضل علي المهدي

● رتب الإسلام فرض الزكاة وضاعفه إلى سبعمائة ضعف فالإسلام وإن كان قد حث على إخراج الصدقة ورغب فيها إلا أنه أوجب الزكاة وشدد عليها وجعلها من أركان الإسلام الذي لا يقوم ولا يستقيم إلا بها.

فلو أن الإنسان المسلم صلى وصام وحج وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولم يزك فإن ذلك لا يجزي عنه شيئا عند الله بل أن علماء الإسلام قالوا:إن حكمه حكم المرتدين عن دين الله الذين حاربهم الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حروب الردة فقد كان منطقهم نصوم ونصلي ونحج ولكن لا نزكي.. غير مدركين أن أركان الإسلام كل لا يتجزأ.

وأن الزكاة فرض واجب وحق مكتسب فرضه الله على الغني أن يخرجه وليست هبة منه ولا منة يتفضل بها على الفقراء لأنها حق للفقير في مال الغني أوجبها الله من فوق سبع سماوات وإن منعها الأغنياء كان لولي الأمر قتال مانعيها من منطلق حمايتهم من أنفسهم.

لأن الزكاة آفة على المال وهلاك له ما لم تخرج ((فما هلك مال في بر أو بحر إلا وسببه)) الزكاة بنص حديث الرسول فالزكاة تطهير للمال وتصفية له من حقوق الغير والزكاة إن خرجت من حق الغني أصبحت حقا للفقير لا يجوز للغني أن يأكل منها شيئا ولا يجوز تأخيرها أبداً فما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره وكلما ردت أعيدت له في يوم مقداره خمسين ألف سنة.

لذا فإننا نعلم أن العبادة البدنية هي شكر لله على نعمة البدن وأن العبادة المالية هي شكر لله على نعمة المال فالمال مال الله والإنسان مؤتمن عليه.

طالما أن الزكاة تكليف سماوي يتصل في أهم جوانبه بالاقتصاد العام للمسلمين وطالما أن الاقتصاد يشتمل على محاور عدة أهمها توفير الوسائط اللازمة للإنتاج الذي يواكب الاستهلاك فإنه تبعا للقواعد التي تحكم الاقتصاد في كل مجتمع من المجتمعات تبدو الصورة أكثر حساسية وبالتالي فإن ما يدور في مجال السياسة هو نفس ما يدور في الاقتصاد وعلى مستوى كافة الحلقات الاجتماعية وتلك هي البؤرة التي تولد التناقض في المصالح في إطار الأفراد والمجتمعات وتتعارض أكثر مع مصالح الأفراد الذاتية ومع إيقاع المصلحة العامة لأنها المعضلة الاقتصادية للبشر في كل العصور لذلك فإن ما يتصل بنفس المشكلة حظي برؤية إسلامية متوازنة اعتمدت على حلول توفيقية تتجنب الحساسية لأنها اعتمدت على مبدأ المساواة بين البشر المسلمين في الحقوق والواجبات وحاولت دفع ظلم الإنسان عن أخيه لأن الصورة الإسلامية كانت مثالية فقد ارتبطت بأمرين:

١- الواقع ومكوناته واحتياجاته.
٢- العدل بصفاته ووسائل تطبيقه.

فيما يتعلق بالواقع وظروفه اكتسبت النصوص مرونة خاصة أقرت المكونات السائدة التي لا تتعارض مع أي شيء من أحكام الإسلام المطلقة واجبة الأداء الطوعي لان الالتزام بكل حكم من أحكام مبدأ هام لذلك تسابقت على تجسيده في الواقع القبائل والعشائر التي دخلت الإسلام أي أن الدعوة التزمت برؤية حضارية سلمت بوجود مثل فرد عاقل ومسؤول فاعترف بالشخصية الحرة المستقلة العامة ذات القدرة على التأثير وأعطى كل إنسان حقه من الأهمية بما في ذلك غير المسلمين إكراما لصفة الإنسانية واهتم بالمسلمين أكثر باعتبارهم مناط الدعوة والتكليف بالأحكام أي أن صفة التراكم اتفقت مع قوة البيان كون الإنسان في زمن الدعوة محط كافة الأحكام السماوية الثابتة في منهج العقدية ممثلة في الفرائض والعبادات من خلال الاهتمام بالإنسان ورفع معنويته انتقلت صفة التكريم إلى المجتمع.

حيث سلم الخطاب الإسلامي بوجود مجتمع متكامل ذو شخصية معنوية قائمة وصولا إلى محاولة تحقيق عملية التآلف المطلوب بين الفرد والمجتمع إذ تأتي تصرفات الافراد في كثير من الأحيان بخلاف ما تقتضيه المصلحة العامة للمجتمع بشكل عام حتى لا تنتقل عدوى المظاهرة السلبية من الجاهلية إلى الإسلام وبالتالي تضعف إيمان الفرد وتخل بصفات العلاقة التي تربطه بخالقه وتدفعه إلى التصرف بطرق غير سوية تتحكم فيها مصلحته الذاتية مهما تعارضت مع المصالح المشروعة لغيره من البشر أو مع مصلحة المجتمع بشكل عام.

مما تقدم تتضح الصورة الواضحة التي اعتمدها خطاب الإسلام كمحاولة لإلغاء كافة المظاهر السلبية التي علقت بالذاكرة من مرحلة الجاهلية وجعلها مدخل لبيان صفات المؤمن الحق المخلص لما آمن به والآخر المتظاهر بالإسلام وبذلك فضح التطلعات الأنانية وتصدى أكثر للمسلم الذي يخالف الثوابت الأساسية وينحاز إلى مصالحه ويستبسل في سبيلها وهي الأعمال التي كانت تولد ردود الأفعال السلبية لقناعة الجميع أن ما يقدم عليه البعض يمثل مخالفة صريحة لأحكام الدين ومنهج العقيدة.

مع ذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوجد المبررات لبعض الممارسات خاصة إذا اقتنع بأن دافعها الجهل أو العشوائية.

ذلك الأمر اختلف فيما بعد عندما ترسخت راية الإسلام واتسع نطاق الدعوة فلقد خاض الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه حربا ضارية ضد الأقوام التي امتنعت عن تسليم الزكاة وبذلك سن القاعدة الأولى التي منحت ولي أمر المسلمين حق جباية الزكاة ولو باستخدام القوة أن استدعى الأمر وكان عنوان تلك القاعدة المقولة المشهورة التي قال فيها (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يعطوه لرسول الله لقاتلتهم عليه).

أي أن ولاية ولي أمر المسلمين المختار من الأمة على الزكاة تدرجت في الثبوت والمشروعات من خلال التوجيه الصريح إلى الرسول عليه الصلاة والسلام الذي ورد في قول الله سبحانه وتعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ثم الحادثة التاريخية التي تمثلت في حروب الردة فأكدت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأحكام التي تلقاها الرسول من ربه تلزم ولاة الأمور من بعده وذلك هو الأساس الذي يجب أن يعيه كل مكلف.

يبقى الأساس هو الكيفية التي يتم بها جباية هذا المورد والكيفية التي يتم بها إنفاقه كأمر تتحمله الدولة بوضوح تام ولو أخرج كل مكلف زكاة ماله لغير ذي ولاية فإنها تحسب صدقة ولا تجزي عن الزكاة فكما جاء في الأدلة السابقة أن الدولة هي صاحبة الولاية الشرعية وهي الأمر المطلوب والدرجة التي تبرأ بها ذمته وعند ذلك يحدث أثر الزكاة في نمو المال المزكى عليه.

بعكس ما يحدث إذا امتنع المكلف عن الأداء أو أدى ما عليه إلى غير ذي ولاية فالأول أنكر النعمة ومنع الزكاة والثاني جحد بأمر الله وأعطى الحق لغير أهله وكلاهما مخالف لحدود الشرع وتوجيه الخلاق سبحانه وتعالى الذي جعل الولاية فيما يخص الزكاة حكراً على الدولة لأسباب جوهرية سنخصها ببحث منفرد في وقت لاحق إن شاء الله.

أخيرا أسأل الله أن يهدي الجميع إلى سواء السبيل ومعرفة الحق واتباعه دون غيره.. ربنا بصرنا عيوبنا وألهمنا رشدنا وارزقنا اتباع طريق الحق وهدي الرسول عليه افضل الصلاة والتسليم.

وجهة نظر

الرئيس عرفات

إبراهيم المعلمي

● تحلى بصفات الزعامة منذ وقت مبكر من حياته.. واتخذ اسم «ياسر» وكنيته «أبو عمار» أثناء دراسته بكلية الهندسة بجامعة القاهرة تخليداً لذكرى مناضل فلسطيني استشهد وهو يكافح ضد الانتداب البريطاني.

● ظهرت المواهب القيادية للرئيس ياسر عرفات منذ سنوات شبابه الأولى، كناشط وزعيم سياسي واعتنق فكر الكفاح المسلح ضد الاحتلال الاسرائيلي عقب نكبة ١٩٤٨م.. وأسس بعد ذلك حركة «فتح» مع عدد من رفاقه الذين كانوا يعيشون في الشتات، وقد كشف عرفات فيما بعد أنه كان يقوم بجمع البنادق من مخلفات الحرب العالمية الثانية في الصحارى المصرية لتسليح حركته..

● عرفت هذا الزعيم والمناضل الفلسطيني وجهاً لوجه لأول مرة في منتصف الثمانينيات خلال لقاء صحفي عقده في إحدى العواصم الأوروبية، وتشرفت بالجلوس إليه مع عدد من الصحفيين الفلسطينيين.. وأذكر أنني وجهت إليه سؤالاً وناديته بالرئيس «أبو عمار».. وقبل أن يرد على سؤالي قال بحدة أنا اسمي ياسر عرفات وليس أبا عمار.. وعرفت مؤخراً أن الاسم الحقيقي لهذا القائد المناضل هو محمد عبدالرحمن عبدالرؤوف القدوة الحسيني.

● لست بصدد سرد التاريخ السياسي لهذا المناضل الفلسطيني، فالعالم أجمع يعرف أن ياسر عرفات هو أشهر واصلب زعيم وقائد لحركة تحرر في العالم اجمع.. وأن عرفات هو فلسطين وفلسطين هي عرفات..

● وقد اقترن اسم هذا القائد الفذ بمجمل مسيرة الكفاح الفلسطيني منذ مايزيد عن خمسين عاماً، خاض فيها كل انواع العمل السياسي والعسكري والدبلوماسي.. وأوصل قضيته الفلسطينية إلى كل المحافل الدولية والاقليمية واستطاع أن ينتزع اعتراف العالم بشرعية قضيته وحق شعبه في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي والنضال من أجل تحرير الأرض واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وهو الذي ناشد العالم في خطابه أمام الأمم المتحدة عام ١٩٧٤م قائلاً: «لقد جئت حاملاً غصن الزيتون والبندقية.. فلا تدعو غصن الزيتون يسقط من يدي».

– ندعو الله سبحانه وتعالى أن يمن على الرئيس عرفات بالشفاء العاجل وأن يمتعه بالصحة والعافية.. إنه على كل شيء قدير..

almalemi @ hotmail. com

قصص ودروس

سالم الجهوري

□ .. ثمة أمر رابط بين اطماع "فيرابيان" أشهر لصوص الهند وربما العالم الذي لقي حتفه برصاصة اصابته في مقتل، وبين قوى التحالف التي لا زالت تنعم بالحياة.

فإذا كان الأول ذو النزعة العدائية تجاه العدالة واستطاع ان يفر منها على مدى عقدين بتأييد القبائل وينجو من الافلات من قبضتها، فإن هذا اللص الشهير كما يطلق عليه تخيلته عريض المنكبين مهيب القامة تنسجم تصرفاته مع بنيته الجسدية، وكيف لا وقد استطاع ان يدوخ مطارديه ويجمع ثروة بلغت ٢٢ مليون دولار تعادل مليار روبية هندية من اخشاب الصندل والعاج والاختطاف متخليا عن ضميره الانساني وعاش في الغابات متخفيا متنقلا من مكان الى آخر هو ورفاقه الذي قلص عددهم الى ١٥ من ١٥٠ شخصا بعد أن ضيق عليه مساحة تحركاته.

وكان البعض من ابناء هذه القبائل التي يعيش بينها يعتبرونه البطل المدافع عن حقوقهم حتى اوقعت به الخيانة التي افشى بها أحد اقرب اعوانه عن تحركاته في تلك الليلة.. ولولا ذلك لبقي فيرابيان طليق الحرية، إلا انها طبيعية لظالم اجتز العشرات من رؤوس الناس.. ومع هذه النهاية المؤلمة المتوقعة لشخصه لم يأسف أحد على رحيله.

فإذا كانت هذه الصورة التي عاش بها فرد واحد خارج عن ارادة العدالة ونجح في تحقيق العديد من مراميه، فما بالك بقوى التحالف التي تطوع ارادة العدالة لمطامعها متخذة اغطية زائفة تنادي لتحقيقها.

وإذا كان الأول جمع فقط ٢٢ مليون دولار من عملياته فإن قوى التحالف جمعت من الثروات ما يسد احتياجاتها واجيالها لسنين مقبلة ولم يحرك أحد ساكنا خوفا من انتقام ضده وفضلوا الصمت خيرا من الاتحاد والوقوف في وجه هذه القوى التي تفوق فيرابيان عدة وعتادا والذي تجنب الموت في سنواته الأخيرة أما الآخر فجاهر بنهبه للخيرات وكيف وقد سرق الفرحة والبراءة ومستقبل اطفال العديد من الدول المستعمرة وابقاهم على حافة الفقر مدى العمر مع ان خيرات بلادهم تكفي لاسعاد شعوب دول بحالها.

فيرابيان طورد لانه فرد وحيد لا يستند إلا على شجاعته وجرأته الاستثنائيتين.. أما قوى التحالف المستعمرة فانها استندت على مبدأ القوة فوق الجميع إلا ان غاياتهما واحدة، وكذلك النهايات للطغاة واحدة أيضا.

ماذا قدم العرب في فرانكفورت؟

فاروق جويدة

□ .. المشاركة العربية في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب قد نجحت وقدمت الثقافة العربية للعالم في أكثر من مجال.. ولكن هذا لا يمنع من التوقف عند بعض الأخطاء والسلبيات وهي في نهاية الأمر دروس لا بد أن نستفيد منها في تجاربنا المقبلة.

وإذا كانت هناك لقاءات أو ندوات قد فشلت ولم تحقق الهدف منها فإن هناك أيضا لقاءات أخرى أثارت الجدل وحركت العقول وشهدت مناقشات بل صدامات حادة في وجهات النظر.

من أخطر السلبيات التي ظهرت طوال أيام المعرض ظواهر صغيرة كان من الممكن مواجهتها لأنها في أحيان كثيرة أساءت إلى الصورة العامة ومنها:

● إن معظم الندوات واللقاءات كانت تجري في وقت واحد وفي مبنى واحد.. وربما في المجالات نفسها.. كان من السهل أن تجد أربع أمسيات شعرية في مكان واحد أو أن تقام مجموعة ندوات ولقاءات في وقت واحد وقد أدى ذلك إلى تشتيت الجمهور والتداخل الشديد في أنشطة المشاركة العربية.. وقد ترتب على ذلك خلو بعض الندوات أحيانا من الجمهور وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال على المشاركين فيها.

● كان الواضح على قائمة المشاركين من الكتاب والمبدعين أن قائمة الاختيارات الحكومية غلبت على خريطة الإبداع في العالم العربي بصفة عامة وقد ترتب على ذلك غياب وجوه كثيرة كانت الأحق والأجدر بالمشاركة في هذه المناسبة المهمة.. ولم تكن هذه مسؤولية القائمين على تنظيم هذه المشاركة ولكنها تقع على الاختيارات الرسمية للحكومات وقد خضعت لاعتبارات كثيرة.

● افتقدت عمليات الترجمة من النصوص العربية إلى اللغة الألمانية الكثير من الاهتمام والدقة وخلت بعض الندوات والأمسيات من وجود ترجمة لما قدمه المبدعون والروائيون والشعراء العرب هذا باستثناء الكتاب الذين نشرت أعمالهم من قبل باللغة الألمانية.. وكان ينبغي الاهتمام بعمليات الترجمة حتى ينعكس ذلك في التفاعل المطلوب بين المتلقي الألماني والإبداعات العربية..

● خلت الساحة تقريبا من المبدعين الألمان باستثناء بعض أساتذة الجامعات والمهتمين بالثقافة العربية وكان ينبغي أن تتسع دائرة الحوار بين الطرفين بصورة أشمل.. ولهذا بدا الحديث أحيانا كما لو أنه من طرف واحد.. وفي ندوات إبداعية كثيرة لم يكن الجانب الألماني ممثلا بالصورة المطلوبة.

على الجانب الآخر كانت هناك ندوات ولقاءات ارتفعت فيها حرارة الحوار وكانت بالفعل مواجهة حية وصريحة.

في محاضرة عن "الإسلام وتحديات العصر".. دافع د.أحمد أبو المجد دفاعا موضوعيا عن الإسلام.. الدين والعقيدة وأسلوب الحياة.. وهنا طرح المشاركون الألمان تساؤلات كثيرة حول الإسلام والعقائد الأخرى.. والمرأة في الإسلام وقضية الحرية.. وحقوق الإنسان.. وكان من الواضح أن عمليات التشويه للعقيدة الإسلامية في الإعلام الغربي قد ضللت رجل الشارع وقدمت له الإسلام والمسلمين في أقبح صورة من حيث الربط بين الأعمال الإرهابية والعقيدة الإسلامية وأن الإسلام دين عنف وتطرف.

وربما كانت هي المرة الأولى التي يرى فيها المواطن الألماني الصورة الحقيقية للإسلام في سلوكياته وفكره ورؤيته للآخر.. فهو دين يحترم كل الأديان.. ويقدر دور المرأة ومسؤولياتها في الحياة.. وهو دين يقوم على الحوار واحترام آراء الآخرين.. وهو دين لم يفرق بين مسلم ومسيحي ويهودي لأن الدين كله لله.. والقرآن الكريم يقدم صورة الأنبياء والرسل بكل التقدير.. فلا فرق بين دين ودين.. ولا بين نبي ونبي في العقيدة الإسلامية.

وفي ندوة مهمة حول سوء الفهم المتبادل بين العالم العربي وأوروبا.. دافع كاتبنا الكبير أنيس منصور عن الشعوب العربية رافضا محاولات تضليل الرأي العام الأوروبي وتشويه صورة الإنسان العربي بكل الوسائل.

وهنا كان من الواضح أن الصورة الخاطئة التي يحملها الغرب للثقافة العربية والفكر العربي تحتاج إلى حوار بناء يستند إلى الموضوعية والحقيقة.. إن الغرب يصر على تشويه الثقافة العربية وهو لا يسعى إلى الحوار ولكنه يسعى إلى فرض الوصاية والهيمنة وتغلب على الخطاب الغربي لغة من التعالي لا تتناسب أبدا مع قدسية الحوار وأهدافه.. لأن الغرب ما زالت تسيطر عليه أفكار استعمارية قديمة.

وكان من الضروري أن نطرح أمام رجل الشارع الألماني حقيقة ما يجري في الشارع العربي الذي يرفض الأساليب القديمة في فرض الوصاية وأن ما يحدث في العراق وفلسطين يمثل نموذجا صارخا لعودة الاستعمار القديم في أسوأ أشكاله وأنه لا يمكن الحديث عن المستقبل والحرية وحقوق الإنسان وهناك قوة غاشمة تحتل الأرض وتنهب الموارد وتستبيح مقدرات الشعوب.

وكان السؤال هنا.. لماذا لا يهتم الغرب مثلا بقضية المرأة في الصين أو اليابان؟.. ولماذا شغل نفسه بأحوال المرأة العربية وسلوكياتها وحقوقها؟.. ولماذا لا يهتم الغرب بقضايا الحريات في بلاد إفريقيا وآسيا وغيرها من شعوب العالم؟.. إن السبب في ذلك كله هو النفط ولا شيء غيره.. إن هذا النفط هو أساس كل المشكلات والأزمات بين الغرب والعرب منذ عهود الاستعمار حتى الآن.. ولو أن النفط خارج من هذه المعادلة فلن يبقى بين العرب والغرب ما يثير المشكلات أو يدعو إلى كل هذا الاهتمام.

وفي ندوة حول المجتمع العربي في عصر متغير شارك فيها عدد كبير من أساتذة الاجتماع العرب في مقدمتهم د.مصطفى الفقي كان السؤال المطروح: إلى أين نحن ذاهبون؟.. وفي الندوة جرى استعراض شامل عن مآسي العالم العربي وأسباب تخلف الإنسان العربي ثقافيا وحضاريا واقتصاديا واجتماعيا.. وبدت المحاضرة كما لو أنها كانت مرثية لأحوال الأمة.. وحاول د.مصطفى الفقي أن يجنح بها إلى مسارها الصحيح بحيث يكون الحديث عن المستقبل لأن البكاء على الماضي لن يفيد.

كان حديث علماء الاجتماع العرب أقرب إلى قصائد الرثاء في الشعر العربي وإن كان بعضهم قد حاول أن يغازل أصحاب البيت بالهجوم على بعض المعتقدات الدينية مؤكدا أنها السبب الرئيسي في تخلف الشعوب العربية.

وهنا أيضا كان ينبغي أن نوضح أننا جئنا إلى ألمانيا لكي نمد جسور التواصل مع الفكر الآخر ولم نأت لكي ننشر الغسيل.. كما يقولون.. وإذا كان ولا بد من الإدانة فإن المثقفين أنفسهم يتحملون الجزء الأكبر من أسباب الكارثة ولهذا ينبغي أن نتحدث عن المستقبل وكيف يستطيع المثقف العربي أن يكون عنصرا فاعلا في إنقاذ هذه الأمة.

كان من الغريب أن تقام مثلا ندوة عن الشعر العربي المعاصر يشارك فيها عدد من الشعراء العرب كل واحد منهم يحكي تجربته دون وجود شاعر ألماني واحد بينهم.. ومثل هذه الندوة كان من الممكن أن تقام في القاهرة أو عمان أو الرياض ولم يكن مكانها أبدا معرض دولي في أوروبا.. لأننا ذهبنا إلى هناك لنسمع الآخر ونتحاور معه.. وكانت هذه الندوة حوار مع الذات.. ولم يكن هذا هو الحوار المناسب في مثل هذا المكان.

ولم تخل أجندة المشاركة العربية من ندوات مشابهة حول حقوق المرأة وغيرها من الموضوعات التي غابت فيها تماما المشاركة الألمانية.

وفي محاضرة رائعة قدمها د.صلاح فضل ود.رضوي عاشور.. دار استعراض بديع لدور الأندلس في الثقافة الأوروبية.. وكيف جسدت أعلى درجات التواصل الحضاري والإنساني بين أوروبا والعرب والمسلمين.. وبجانب هذه الندوات كانت الأمسيات الشعرية التي شارك فيها الشعراء العرب الكبار أدونيس وحجازي ودرويش والأبنودي وبنيس وبزيع وحيدر محمود وعباس بيضون والبرغوتي وعبده وازن والقراشولي.

ثم كانت لقاءات الفكر التي شارك فيها ناصر الدين الأسد.. وكمال أبو المجد.. وأنيس منصور.. وجابر عصفور.. وإسماعيل سراج الدين.. ود.المسيري.. وفهمي حجازي.. وسليم العوا.. وعبدالتواب يوسف.. وفتحي صالح.. ومحمد سلماوي.. ويوسف زيدان.. وإبراهيم العريسي.. والموسوي.. وغازي العريضي.. وسمير سرحان.. وشريف الشوباشي.. ود.مصطفى علوي.. وناصر الأنصاري.. ورتيبة الحفني.. وليلى تكلا.. وهدى وصفي.. مع أمسيات فنية كان أكثرها تأثيرا أوبرا شهر زاد المصرية.. وأمسيات لرائدة المسرح العربي سميحة أيوب وفرقة الفنون الشعبية اللبنانية كراكالا.

وكان من الجميل حقا أن يكون عرض شهر زاد المصري عربيا في نجومه حيث أخرجه وليد عوني اللبناني.. مع أنغام وعود نصير شما العراقي.. وأن تصاحب قصائد أدونيس السوري أصوات مصرية من دار الأوبرا.

وفي ساحة الرواية كان النجوم العرب هم الأكثر عددا.. ومن بين هذه الكوكبة من يكتبون بالعربية ومن يعيشون في أوروبا ويكتبون باللغات الأجنبية.. كان بن جلون.. وزكريا تامر.. والغيطاني.. وخيري شلبي.. وإبراهيم الكوني.. وأصلان.. ورضوى عاشور.. وعبدالمجيد.. والحبيب السالمي.. ومنى رجب.. وبثينة مكي.. وحنان الشيخ.. وسميحة خريس.. وأحلام مستغانمي.. وسلوى بكر.. وميرال الطحاوي.. وميسون صقر.. وآسيا جبار.. وسحر خليفة.. ومنتصر القفاش.. وردنة غازي.

كانت هذه الوجوه التي اختلفت في الأعمال والإبداع ولكنها كانت تمثل حشدا عربياً ذهب إلى فرانكفورت لكي يتحاور ويسمع ويضيف ويغير صورة العرب أمام الإعلام الغربي.. وأمام المواطن الألماني.

لا شك في أن صورة العربي المسلم في أوروبا الآن على غير ما نحب أو نريد.. وربما تكون المشاركة العربية في معرض فرانكفورت بداية لتصحيح المسار.. وتقديم جانب من جوانب الحقيقة.

العنف وفك الإرتباط.. ومستقبل السلام

محمد محمود عثمان ●

■ الصراع العربي ـ الإسرائيلي بدأ يتجه إلى منحنى خطير يدعو إلى اليأس والاحباط إذا لم يع العرب خطورة ما يحدث الآن في الاراضي المحتلة من خلال اطروحات شارون لفك الارتباط الاحادي والانسحاب من قطاع غزة. والادعاء بأن ذلك تضحية كبرى ومساهمة اسرائيلية لتحقيق خطة سلمية اعتبرتها الادارة الامريكية خطوة يستحق عليها شارون أن يلقب برجل السلام.. وكأن كل ما طرحه العرب من مبادرات سليمة لا تؤدي من وجهة النظر الامريكية إلى السلام.

والمتتبع لخطط شارون وبرنامجه الانتخابي الذي يتضمن ضم القدس العربية إلى إسرائيل واستثنى حق اللاجئين في العودة إلى وطنهم وتبنى برنامجا مقابلا لجذب المزيد من المهاجرين اليهود إلى الاراضي الفلسطينية بدلا من عودة أهلها المشردين يجد أن مخططات أخرى قد أضيفت إلى هذه الخطط ليس لإلغائها بل لتكريسها جزئياً في مناخ من التوتر الدائم صنعه شارون للتغطية على ما يتم تثبيته على الأرض.. وهو في سبيل ذلك كثيرا ما يحول الأنظار إلى فرعيات يشغل العرب والعالم بها مثل الحديث سلباً أو إيجاباً عن خارطة الطريق ومغازلة العرب بهذا الحديث الأجوف الذي نتلهى به بعيداً عن المخطط الاسرائيلي لتهويد القدس من خلال اللعب على عنصر الوقت الذي تمرست الإدارات الإسرائيلية المتعاقبة على استغلاله والاستفادة منه في ظل التقاعس والتغافل العربي عما يحدث وخاصة مع التنصل الدائم للحكومات الاسرائيلية من كل الالتزامات فقد تنصلت حكومة نتنياهو من التزامات حكومة بيريز وفعل باراك نفس الشيء، ثم شارون الذي أعلن في برنامجه حتى قبل نجاحه في الانتخابات بأنه غير ملتزم بما توصلت إليه حكومة باراك مع الفلسطينيين وأن أي مفاوضات لابد أن تبدأ من نقطة الصفر مجدداً وليس من حيث انتهت..

وهذا هو السر في تجميد عملية السلام حتى الآن وعدم تقدمها خطوة أو قيد أنملة برغم النوايا العربية الحسنة والتنازلات التي تقدمها او تفرض عليها، مما أدى إلى حالة التوتر والقلق التي تعيش فيها المنطقة الآن والتي قد تؤثر على فكرة السلام الدائم والعادل الذي يتمناه العرب الطيبون.. فكل المؤشرات تقودنا إلى العودة دائماً إلى المربع الأول بعد أن نخسر الكثير من الحقوق والأرواح والارض وأوراق التفاوض وحتى ورقة التوت أيضاً.

ذلك يجعلنا كعرب معنيين أكثر من أي وقت مضى بما يحدث داخل الاراضي المحتلة والخطط التي تنفذها الحكومات الاسرائيلية وفق مراحل زمنية محددة وواضحة لديهم.. فمخطط التهجير يسير منهجه في خط متواز مع عمليات العنف المفرط والقتل والتنكيل والإبادة الجماعية التي يتعرض لها الفلسطينيون في الأراضي المحتلة والتي كثفت إسرائيل حدتها مؤخراً لتحقيق تفوقها على الأرض يرهب اللاجئين الفلسطينيين في الخارج ممن يطالبون بحقهم في العودة ويعطي الثقة في ذات الوقت لليهود المهاجرين إلى فلسطين لمواجهة عمليات الهجرة المضادة ولجذب المزيد من المهاجرين لتحقيق وعود شارون خلال حملته الانتخابية في جلب ثلاثة ملايين مهاجر يهودي في غضون عقد من الزمان، وهذا الذي أدى إلى دعوة شارون ليهود فرنسا للهجرة إلى اسرائيل وهي الدعوة التي تسببت في أزمة مؤقتة بين شارون وشيراك وإن كان شارون يرى في ذهاب يهود فرنسا إلى اسرائيل دافعاً وتشجيعاً لغيرهم من اليهود الذين يعيشون في مستوى رفاهية أقل في باقي دول العالم للهجرة إلى اسرائيل.. كما تسعى إسرائيل في ذات الوقت إلى توسيع المستعمرات وإعدادها لاستيعاب المهاجرين الجدد وكلها محاولات لوأد مشروع الدولة الفلسطينية تدريجيا وبأسلوب وفكر منظم وملتزم بتحقيق الهدف دون ملل او يأس، وفي الوقت المواتي الذي برعت الادارة الاسرائيلية في الاستفادة منه منذ مؤتمر بال الذي عقد في سويسرا منذ أكثر من قرن مضى حيث تتجه اسرائيل دائماً إلى مراكز التأثير القوة العالمية المهيمنة لتستفيد منها في تنفيذ كل ما تستطيع وفق البنود التي أقرها هذا المؤتمر بواسطة ثيودور هرتزل الذي وضع معالم دولة إسرائيل حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن وما سوف تؤول إليه في السنوات القادمة من خلال المقولة الشهيرة "بأن حدود دولة اسرائيل الكبرى تمتد من النيل إلى الفرات".

ولكن في ظل كل هذه الأطروحات هل يمكن أن نركن إلى أوهام السلام التي نبحث عنها ونكرس كل وقتنا وجهودنا لتحقيقه ولكن من طرف واحد هو الذي يريد السلام وليس أمامه بديلاً يستطيع اللجوء إليه سواه وخاصة أن اسرائيل تعلم قبل غيرها مدى الوهن والاستكانة التي تحل بالعرب والمسلمين في الوقت الراهن.

مما أدى إلى أن يحطم شارون الرقم القياسي في سجل المجازر البشرية من خلال اسلوبه الدموي والتوسع في أعمال الابادة الوحشية. الأمر الذي يؤدي إلى تصعيب الامور وزيادتها تعقيدا أمام الخيار السلمي الذي لا تعزم إسرائيل الوصول إليه في حقيقة الأمر بل وتتهرب منه ريثما تفرض سيطرتها على الارض وتدمر كل البنى الفلسطينية ليس في غزة فقط بل وفي الضفة الغربية أيضاً حيث أن التطورات المتسارعة من خلال خطة الفصل الأحادية التي يصاحبها تصرفات أكثر عنفاً ورعباً على الأرواح والحقوق الفلسطينية وعلى المنطقة التي تحلم بالأمن والسلام.

(●) كاتب عربي